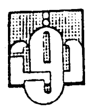
وسقطت من أفقي نجمة

شعر

عواطف يونس

٢٠٠١

الهيئة العامة لقصور الثقافة
إقليم القاهرة الكبرى وشمال الصعيد
ثقافة القاهرة



المراسلات
٣٠ شارع شريف – القاهرة
تليفون :
٣٩٣٤٦٧٨
فاكس : ٣٩٢٩٤٨٣

الإهـــــــــــداء

إلى

أبى . . . الذى عبَّأ أوردتى قمحا وياسمين . .

عواطف

" جميلٌ أن تعطى من يسألك .
وأجمل منه أن تعطى من لا يسألك .
لأنك تدرك حاجته . "

جبران خليل جبران

ألـــمٌ

كل هذا الألم

الذي داهمتني به ذات مساءٍ

يا ... ه

كآنيةٍ من فخّارٍ

عتّقني ، ..

وازدت تماسكاً ،

و ..

أدركت كم أنا أحبك

خيـانـة .. !!

كان يقول لي :-

أنا لا أخونك ،..

فقط

أحبها .

تهـــيؤ

في المرة القادمة ..

التي ستخونني فيها

لن تأخذني الدهشة ..

لن أبكي كثيراً

فقط

لأنني هيأت نفسي لرصاص غدرك ..

في المرة القادمة ..

التي ستخونني فيها

لن تأخذني الدهشة ..

لن أبكي كثيراً

فقط

لأنني سوف أكون هناك

على حافة النهر ..

مـــــــــوت . .

التى قالت أنها تكره زهر القرنفل ، . .

لم تفسر لى . .

وانصرفت مع صوت كاظم الساهر "

إلى حيث أطفال يموتون . . .

وحــدي

أزرع شجرة ،

وأهيئ لغناء العصافير ..

اعتـذار

عفواً أيها الحبيب

اعتقدت للحظة ما

أنك ... ...

عفواً أيها الحبيب ، ..

كانت الريح قوية

وأنا

خِفتُ البردَ

و خِفتُ التعري ..

لــذا

كان تشبثي إلى هذا الحد ...

قالت لي ..

البنت التي أَحَبَّـها ..

قالت لي :

أنها سوف تشبك طرف شالها بقوس قزح

وأن عصفوراً أخيرْ

حطَّ على شرفه وقتها

ستغني له في النصف الأخير

من الليل

ولن تشكو برودة الطقس .

وفــــاء

أحنيت ظهري ..

ليصعدَ ،

وعندما صعد ..

دفعني بقدمه ،

فسقط على الأرض

ومرَّ على جثتي .

أنت ... وقناديل البحر

القطار الذي كان يضمكما معاً

صار الآن

يغني لقناديل البحر

وأنت ..

لا تدري ..

قسوة

يا لقسوتك ..

كيف تذبحني ،..

ثـــــم

تطلب مني

ألا ألوث الكون بالدماء..

مصالحة

فى " نشرة الأخبار .

كانت المذيعة تعلن : فض اشتباكات فى الجولان

وأن الزعيمين العربيين قد اجتمعا . .

لتوقيع العقد ، . .

. . . .

كان الجو بارداً . .

والطقس على غير عادته

لـــــــــذا

كانت ملاءة السرير أيضا . .

تشهد توقيع العقد . .

خـــــروج

في كل مرة كنت تفتح باب شقتنا وتخرج

دونما كلام . .

دونما سلام

كنت أيضا تفتح قلبي . . وتخرجْ

ظمأ . . ! !

بى ظمأ العالم ، . .

وبين يدىَّ الماء . .

فلماذا إذن كلما أبحرت ، . .

تعودُ سفا ئنى جوعى ،

وينكسر الشراع ؟ !

رحيل ..

الذى خاصمنى ،

لملم أشياءه ،

وارتد صــوب الجنـــــوب

. . . .

. . . .

وقبل الرحيل

ما نسى أن يفتح غيمة أحزانى

ذكـــــــرى ..!!

قال اذكرينى فى الصباح وقبل المساء

حتى نمنح الورد صفة جديدة

أيها السمك لماذا لا تعشق الحلوى . . ؟ !

أحبُ السمك كثيرا ،

وأحبُ الحلوى أيضا . .

يوما ما . .

علقتُ بطرف السناره قطعة حلوى . .

وذهبتُ إلى البحر . .

جلست إلى البحر . .

جلست طويـ . . . . لا

وفى آخر يومى

أدركت تماما . .

أنى مخطئة ، . .

وأنى لم أفهم بعد لغة الأسماك . .

قصيدتان فى غياب القمر . .

(١) " حَيْطَة "

كيف منحت الشمسَ

تذكرة غيابٍ . .

قبل أن احتاط لقدوم الليل .

(٢) " حضور "

أجل ياحبيب

ما زال البيت ممتلئا بك ،

بمشاكساتك الطفولية الجميلة ، .

حين تعبث بأشيائى . .

أيها المسافر الحاضر

مازلت تملأ أركان البيت

فى الصالة ،

والردهات ، . .

وفى حجرة نومنا

أنظر فى صورتك

أراك تبسم لى ، . .

ثم تفتحُ طاقة للجنون

عـــــادة . .

فى المساء

جلست تبكى ،

قدَّمت اعتذارا ،

وقررت ألا تكذب ثانية . .

. . . .

. . . .

لكنها

فى الصباح

وقبل أن تخرج . . .

لم تنسَ أن تفتح علبة الماكياج "

يوســـــف ..!!

الآن لى أن أفتح أوراقى

أدخل ذاكرتى ، استمطرها . .

وأهزّ النخلات . .

لى أن أعلن يا يوسفُ ما خبأناه بأردية الكتمان

واستدنى يما مات الوهج البكر . .

لتشهدَ . .

وليشهد عرى مراياى . .

لى أن أعلنَ . .

أن الوردة . . أحياها الماءُ . .

ونضَّرها . .

سوى كل ملامحها . .

فانطلقت جامحة . .

ولى أن أعلن . .

أنت راودتنى واستبحت دمى ،

أنت بيَّنتَ لى مفرداتك ، . .

هيَّأتَ لى . .

ثم رحتَ تصلى . .

. . . .

. . . .

أنت غنَّيْتَ لى . .

و ياكم كنت جميلا ،

و أثيرا

ثم لصا كبيرا

استطعت اجتذابى

واخترقت فضاءاتِ روحى

حتى برمجت فىَّ لغاك ،

وعبأتنى باشتهائِكَ

. . . .

كنت لى حَمَلاً ،

وعشبا كثيرا . .

وحين انطلقت منى الذئاب . .

قلتَ :

هى راودتنى .

محاولة ..!

بعد أفولٍ فتحتُ الأبوابَ ، . .

وقلتُ لروحى : -

خشَى ثانيةً هذا الفضاءَ الرحبَ ،

وفضىّ خصومة عينيك مع النهرِ . .

اغتسلى . . ،

ثم حُطّى على نار التلظى . .

. . . .

. . . .

لكنى . .

حين شرعتُ أفتشُ فى كل شرايين الأرض

أبحثُ عن جذرٍ طيبْ

خابتْ كلُّ أمانى

حين انبتر الجذر ،

وسقطت من أفقى نجمة .

فطره . .

. . . .

. . . .

وبقليل منَ حبْ

مَلَكَ الصيادُ القلبْ

. . . .

. . . .

فى جوفِ شباك الصياد

لم تبكِ العصفورة

أنثى كانت

الفطرة كانت

وبقليل من قش

بَنَيَا وطنا ، . .

واندسا فيه .

السلحفاة . . وقلبى . . وشارات المرور

فى الخامسة مساء

كانت عيون محبوبى

رافلات . .

تزرع الأركان سُؤلى

هدب محبوبى

وانفرادُ . . فى الجوانح

يتهيأ . .

كلُّ محبوبى

. . .

. . .

وأنا تمشى بى سلحفاة غبية ،

ساءها كونى خَضَارْ . .

ف . .

ت . .

هـ . .

ا . .

د . .

ت . .

تهدم الأحلام . .

تبنى والإشارات العهودا . .

هل تراها لم تجرب ؟

أم ترى أنثى . .

ومن أنثى تغار . . ؟

ثـــــــــــــورة . . ! !

للنيل أن يعلن ثورته
يشخبط وجه الطبيعة ،
يرسم بيتا آخر ،
خاصرة أخرى
وينام
لو يقدر . .
لن أصبح دلتا ه

يا الذى أحبه . .

يا الذى أحبه . .

أحبَّنى

ثمن بخس . .

أتبيعنى بقصيدة شعر

يـا . . . ه

بعتنى بثمن بخس

اقتلاع . . ! !

حين زرعتك فى قلبى صفصافا

كانت تنمو فى ظلك زهراتى

لكنى الأن

ورغما عنى اقتلعوك ، . .

كى تشبع أعينهم من سمت الدم . .

زيارة . . ! !

يا سيف الله

أعرف أنك يوما ما

ستزور جياد مدينتنا . .

. . . .

. . . .

لكن

حين تشَحذ حدَّك

من أجل مصافحتى

رفقا بى ،

فانا قارورة عصر . .

مزّقنى ناب ،

ورصاصه .

رجل انتهازى . . وامرأة غير عاديه . . ! !

اسمح لى أيها الانتهازى الكبير ، . .

أن أكون انتهازية لمرة واحدة .

واسمح لى أن أدخل إلى شراينك الوسيعة ، . .

وآخذ عمرى الذى سرقته ،

وحولته إلى دماء طازجه ، . .

تمنحك الحياة . .

اسمح لى أن آخذ رحيق أيامى

الذى سحبته بخيا شيمك ، . .

عندما كنت تسبح فى بحر حياتى . .

ثم خلفتنى زهرة زابلة

أيها الرجل الانتهازى . .

غداً

سوف أضحك من جديد

مثل جدول صغير ، . .

وعلى شاطئيى . .

سوف تغنى الطيور . .

لو يعود . . موسما .

أصلى . . من أجل يديك

هل تقفل فى وجهى البابْ

ما أحوجنا ليديك

مشتاقون اللمسة منك . .

فهل تمنح . .

لنتمثل فينا الزيف . . نصير بلا إحساس

تماثيل ذهبية . .

عندئذ

نصبح أغلى

نهزم أسطورة النبض المزيف

ونباع بسوق الدولار . .

آه يا ميداس "

ما أحوجنا ليديك

كى تطفأ فينا النار

فتشبع أسد جوعى

وتعود طيور . .

ينتهىَ المشوار . .

حين تجئ إلينا

سيغنى الصفصاف ويمتد

يتشابك . .

يغزل ثوبا لصبية . .

أرّقها عودُ الفارس بالمهر وبالدار .

ومن كتاب الطفولة

والحلم

والجهاد

* قصائد إلى أطفال الحجارة *

" إن فرحكم هو حزنكم . . رفع عن وجهه
القناع . "

جبران خليل جبران

(١)

ليس باللعب وحده يحيا الأطفال . .

وسط رصاص البنادق ،

وصهيل الأحجار ،

كان يفتش عن ركن قص

يحلم فيه كالعصافير . .

طفل مثل كل الأطفال . .

ودَّ . .

لو عبأ فى جيب طفولته الشمس

أو بعضا من قطع الحلوى . .

لكن لصوص الأرض ، . .

سرقوا لؤلؤ عينيه

مصوا رحيق براءته

. . . .

. . . .

فصار الطفل الشيخ ،

وراح يؤرخ بالحجر ، . .

لبلاد أثقلها الحزن . .

يتسلل الولَد الصغَير عبر الأزقه . .

يختلس من دفتر الوقت برهة

ويقول لأقرانه : عن لعبة

. . . .

. . . .

يحكى عن شارعه القديم

وعن أشجار الزيتون ، وحدائق العنب

وبيته الذى منذ عام كان هنا . .

. . . .

يحكى الطفل لأقرانه . .

ثم يقترح ابتداء اللعب . .

يفتش الولد الصغير عن أقرانه

ويفتش . .

لا شئ سوى النار والدخان

عبَّأ جيبه بالحجاره ،

وراح يتبع أقرانه

ويقول :

مكتوب ليس باللعب وحده . . . .

(٢)

ليتـــك تمطرين أحجارا

أتمنى لو تصبح كل امرأة فى بلادى مريم

وأن تصبح كل شجرة فى بلادى نخله

وإذا هزّت كل نساء الأرض

هذى الأشجار . .

من يضمن لى

أن النخلة تسقط أحجارْ .

ليتـــك تمطرين أحجارا

مكتوب ليس بالتمر وحده يحيا الإنسان

والمرأة التى كانت قد صعدت جبل الزيتون

وحطت على أوجاع التين ، . .

ما زالت تمضى وحدها . .

تبحث فى وطنها عن وطن . .

. .

. . .

. . . .

لا شئ يصاحبها

إلا رعس جنين يملأ جنبيها

المرأة متعبة

. . . .

. . . .

جلست فى ظلال نخلة

تصنع مقلاعا ونقيفة

وتعد الحصى . . فى انتظار الوليد . .

(٣)

ويقول الطفل الفلسطينى الجميل . .

فى تحدٍ

احذفوا " وطنى الصغير "

و" جغرافية العالم العربى "

واختصروا ما شئتم ،

اغلقوا المدارس أو افتحوها

احذفوا سور الجهاد

أنا

فى كراستى

أكتب تاريخا . .

وأرسم خارطة . .

وسأنسج مدى أخضرَ

(٤)

انتظار . . ! !

أيها الصغار

لملموا الاحجار

فالليل ما زال يطل كرأس أفعى ، . .

يتسلق الأسوار . .

ينتظر خروج العصافير الخضراء ،

فيطلق زناره . .

ويلوث الفضاء . .

. . . .

. . . .

أيها الصغار

قد صار من ثار

فحتما

سيعقب هذا الليل نهار . .

(٥)

مشـــاركــة . .

" أيها الطفل الجميل . . اضرب "*

نحن معك ،

من هنا نرمى معك .

---

* * من قصيدة للشاعر أمجد ريان .

(٦)

الخفافيش . . ! !

(أ)

فاطمة الفرحانة . .

تخرج الأن من دفتر حزنها المعتق ،

وتفتح نافذة على وجع تكور فى الفؤاد

إذ كانت على شفا حفرة من الموت . .

فاطمة تغنى ،

وتباهى الكون بطفلين جميلين . .

تكشف عن لغة جديدة

تصلح للخروج . .

(ب)

جلست على مقربة من أسوار الخليل

تصنع من جلدها القديم مقلاعا

وراحت تعلم طفليها اللغة الجديدة

. . . .

وتهيئهما لصيد الخفافيش . .

(جـ)

فاطمة

لما فرغتِ من صنع المقلاع

جلست ترقب فرحة طفليها

وتقيس بعمق مقدار التطلع والوهج .

(د)

فاطمة تحـب الليـل ← وتحسن الغناء

فاطمة تكره الخفافيش ← تجيد صنع المقاليع

(هـ)

تبحث احيانا عن وجهها القديم

لما كانت فى حضن القمر .

يرقصان . .

وكانت عيون البرتقال تترصدُ

خلاخل فاطمةٍ وتغارْ . .

(و)

ترسم فاطمة فى دفتر طفليها

قمرا ينزف دما

وبلادا مأخوذه

وامرأة تحضن طفلين يتيمين ،

يغنى من أجلهما الزيتون

وتبكى لهما كل يمامات الأرض .

ترسم فاطمة وترسم . .

وتلون المدى بالسواد

ويسأل حورس "

لماذا يأم السواد ؟

تجيب الفرحانة ،

مات القمر

أطلقوا عليه النار

فانطفأت كل قناديل الليل

وصار مرتعا للخفافيش

ويسأل حورس "

- من أطفأ القمر ؟

- من سرق من الليل القمر ؟

تجيب الفرحانةُ . .

بل من سمل عيون حبيبى ؟

من حجَّر الثمر ؟

(ى)

هل تقدر فاطمة أن تمسك الظلام ، . .

بكفيها

تلملمه ،

وتصره فى منديلها

وتلقى به فى البحر

فتموت الخفافيش . .